قصـــص الرحـــالة

— ٧ —

« تاسمان يكشف جزائر زيلندة الجديدة »

« أسعدتم صباحا يا أبنائي ! ! أنا تاسمان ووالدي هولندي الأصل ؛ كنت مغرما بالبحار والأسفار من صغري . وفي أغسطس سنة ١٦٤٢ غادرنا ميناء باتافيا (Batavia) بجزيرة جاوا (Java) إحدى جزائر الهند الشرقية . على رأس سفينتين .

تاسمان

وكان غرضنا البحث عن قارة ، قيل إنها تقع في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية . وبعد سفر دام أربعة شهور ، وصلنا إلى الساحل الغربي لزيلندة الجديدة ؛ ورسونا في خليج فسيح يبلغ اتساعه أربعة أميال . وكان ذلك عند الغروب . وبعد ساعة رأينا أضواء كثيرة تتلألأ على الشاطىء المقابل لنا ؛ ثم شاهدنا أربعة قوارب تتقدم صوب المكان الذي رسونا فيه . وخامرني الشك فيما تنويه تلك القوارب . على أنني بعد قليل ، تيقنت أن اثنين منها ؛ كانا من قواربنا ، خرجا للبحث عن ماء عذب ، وعن مكان مناسب ناوي إليه . وكان بالقاربين الآخرين ، أناس كثيرون من أهل البلاد يصيحون صيحات عالية متواصلة ، بلغة لم نفهمها بالطبع . واعتقدنا بادىء الأمر أنهم ينادوننا ، ويحاولون الاتصال بنا ؛ فردنا عليهم بصيحات عالية ؛ لنشعرهم بأننا على استعداد لمقابلتهم ، فيطمئنوا لنا ؛ ولكنهم لم يجرءوا على الاقتراب منا ، بل وقفوا على بعد بضعة أمتار يقرعون الطبول قرعا مزعجا . وظلوا كذلك مدة طويلة ؛ ولم يجد معهم ، ما حاولناه في أثنائها ؛ من اجتذابهم بمختلف الطرق والحيل . وأخيرا غادروا المكان ؛ وبقينا نحن طول الليل

عَلَى تَمَامِ الاِسْتِعْدَادِ بِبَادِقِنَا وَمَدَافِعِنَا ؛ خَشْيَةَ أَنْ يُهَاجِمُونَا فِي جَوْفِ الظَّلَامِ .

وَفِي الصَّبَاحِ وَصَلَتْ إِلَى الْمَكَانِ سَفِينَةٌ بِهَا ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً ؛ وَوَقَفَتْ عَلَى بُعْدِ بِضْعَةِ أَمْتَارٍ مِنَّا .

وَاسْتَطَعْنَا أَنْ نُمَيِّزَهُمْ ، فَإِذَا بِهِمْ رِجَالٌ طِوَالُ الْقَامَةِ ، أَصِحَّاءُ الْأَجْسَامِ ؛ عِظَامُهُمْ غَلِيظَةٌ قَوِيَّةٌ ، وَأَصْوَاتُهُمْ خَشِنَةٌ ، وَشَعْرُهُمْ أَسْوَدُ مَضْفُورٌ وَمُرَتَّبٌ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ ، وَعَلَى رَأْسِ كُلٍّ مِنْهُمْ رِيشَةٌ كَبِيرَةٌ بَيْضَاءُ . وَكَانَتْ سَفِينَتُهُمْ فِي الْوَاقِعِ مُكَوَّنَةً مِنْ قَارِبَيْنِ طَوِيلَيْنِ رَفِيعَيْنِ وَمُعْظَمُهُمْ عُرَايَا عُرْيًا ، يَكَادُ يَكُونُ تَامًّا . وَقَلِيلٌ مِنْهُمْ مَنْ سَتَرَ وَسَطَهُ بِخِرْقَةٍ أَوْ قِطْعَةٍ مِنَ الْحَصِيرِ .

وَقَدْ عَرَضْنَا عَلَيْهِمْ سَمَكًا ، وَنَسِيجًا (قُمَاشًا) وَسَكَاكِينَ وَأَشْيَاءَ أُخْرَى صَغِيرَةً ، لِنَجْتَذِبَهُمْ إِلَيْنَا وَلَكِنَّهُمْ رَفَضُوا ، وَعَدُوا أَذْرُعَهُمْ .

وَفِي تِلْكَ الْأَثْنَاءِ ، اجْتَمَعَ لَدَيَّ ضُبَّاطُ السَّفِينَتَيْنِ ؛ وَقَرَّرْنَا الِاقْتِرَابَ مِنَ الشَّاطِئِ قَدْرَ الْإِمْكَانِ . وَمَا أَنِ انْفَضَّ الِاجْتِمَاعُ ، حَتَّى كَانَ قَدْ وَصَلَ إِلَى الْمَكَانِ سَبْعُ سُفُنٍ مَمْلُوءَةٍ بِالْأَهَالِي وَهُمْ فِي حَمَاسٍ وَجَلَبَةٍ شَدِيدَيْنِ . وَتَقَدَّمَتْ إِحْدَى

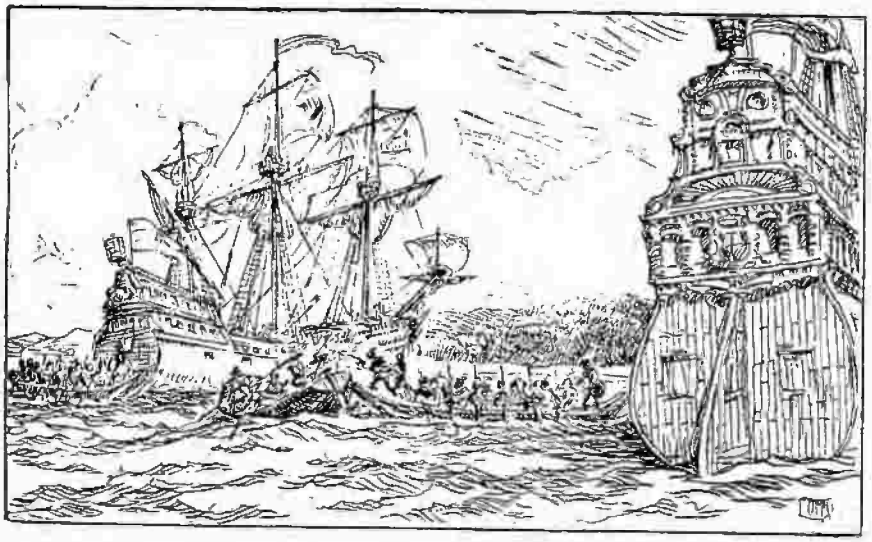

المعركة التي دارت بين الرحالة وبين الاهالي

مُتَّصِلَتَيْنِ بِأَلْوَاحٍ خَشَبِيَّةٍ ، جَلَسُوا عَلَيْهَا صُفُوفًا . وَكَانَتْ مَجَاذِيفُهُمْ طَوِيلَةً ، لَهَا أَسْنَانٌ مُدَبَّبَةٌ . تِلْكَ السُّفُنِ فِي سُرْعَةِ الْبَرْقِ ، وَكَانَ بِهَا ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً ؛ وَوَقَفَتْ قُرْبَ سَفِينَتَيَّ . ثُمَّ جَاءَتْ

سَفِينَةٌ أُخْرَى ، سَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً ، وَوَقَفَتْ قُرْبَ سَفِينَتِي الثَّانِيَةِ . وَلَمْ نَشَأْ أَنْ نَبْدَأَ الشَّرَّ ، لأَنَّنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى مُصَادَقَةِ هَـؤُلاَءِ النَّاسِ . فَأَرْسَلْتُ سَبْعَةً مِنْ رِجَالِي فِي قَارِبٍ صَغِيرٍ ، إِلَى السَّفِينَةِ الأُخْرَى ، لِيَطْلُبُوا إِلَى بَحَّارَتِهَا ؛ أَنْ يَكُونُوا عَلَى حَذَرٍ ، وَأَلاَّ يَسْمَحُوا لِعَدَدٍ كَبِيرٍ مِنَ الأَهَـالِي بِالدُّخُولِ دَفْعَةً وَاحِدَةً ، إِذَا هُمْ أَرَادُوا ذَلِكَ .

وَبَيْنَمَا الْقَارِبُ يَسِيرُ نَحْوَ السَّفِينَةِ ، نَادَى الأَهَالِي بَعْضُهُمْ بَعْضاً ؛ وَفِي لَمْحِ الْبَصَرِ ، انْقَضَّ الرِّجَالُ عَلَى الْقَارِبِ ، وَأَخَذَ بَعْضُهُمْ يُحَاوِلُ إِغْرَاقَهُ بِمَنْ فِيهِ ! بَيْنَمَا شَرَعَ الآخَرُونَ فِي هُجُومٍ عَنِيفٍ بِالْمَجَاذِيفِ وَالْعِصِيِّ الْغَلِيظَةِ ، وَالرِّمَاحِ ، فَقَتَلُوا مِنْ رِجَالِنَا خَمْسَةً . رَغْمَ مَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ رَصَاصِ بَنَادِقِنَا . وَقَدْ حَمَلُوا مَعَهُمْ جُثَثَ بَعْضِ الْقَتْلَى مِنْ رِجَالِي وَفَرُّوا ؛ وَلاَ نَدْرِي مَا صَنَعُوا بِهَا .

بَعْدَ تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ ؛ فَقَدْنَا كُلَّ أَمَلٍ فِي التَّفَاهُمِ مَـعَ الأَهَالِي ، وَأَيْقَنَّا أَنَّهُ مِنَ الْمُحَالِ الْحُصُولُ عَلَى مَاءٍ عَذْبٍ أَوْ طَعَامٍ . فَصَمَّمْنَا عَلَى الرُّجُوعِ . وَفِي أَثْنَاءِ عَوْدَتِنَا ، حَاصَرَتَا الأَهَالِي مَرَّةً أُخْرَى حِصَاراً عَنِيفاً ، وَاضْطُرِرْنَا لِرَمْيِهِمْ بِالرَّصَاصِ ؛ وَقَدْ أَصَبْنَا ، عَلَى مَا يَظْهَرُ ، زَعِيمَهُمُ الَّذِي خَرَّ فِي سَفِينَتِهِ قَتِيلاً ، وَآخَرِينَ مَعَهُ . عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ انْتَهَتِ الْمَعْرَكَةُ ، وَعَادَ الْقَوْمُ سِرَاعاً إِلَى الشَّاطِئِ ؛ وَاسْتَأْنَفْنَا نَحْنُ السَّيْرَ ، بَعْدَ أَنْ لَقِينَا الأَمَرَّيْنِ ، مِنْ قِلَّةِ الْمَاءِ ، وَسُوءِ مُعَامَلَةِ الأَهَالِي ، وَنَفَادِ الذَّخِيرَةِ .

وَتَذْكَاراً لِتِلْكَ الْحَوَادِثِ ، سَمَّيْتُ الْخَلِيجَ الَّذِي كُنَّا فِيهِ : « خَلِيجَ الْقَتْلَةِ » . وَزِيلَنْدَةَ الْجَدِيدَةَ ، الَّتِي كَشَفْنَاهَا . بِلاَدٌ جَمِيلَةٌ لِلْغَايَةِ ، وَيَبْدُو لِي أَنَّهَا خِصْبَةٌ ، غَنِيَّةٌ بِمَحَاصِيلِهَا . وَلَعَلَّهَا جُزْءٌ مِنَ الْقَارَّةِ الَّتِي أَبْحَثُ عَنْهَا . وَسَوْفَ أَعُودُ يَوْماً مِنَ الأَيَّامِ إِلَى تِلْكَ الْبِلاَدِ ، عَسَانِي أَعْرِفُ مِنْ شَأْنِهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَرَفْتُ ؟ »

الفنار (بقية المنشور بالصفحة ٨)

بَعْضِهَا سِتَّةَ عَشَرَ قَدَماً ، أَيْ خَمْسَ يَارْدَاتٍ وَثُلُثَ يَارْدَةٍ . وَكُلُّ الْفَنَارَاتِ تَقْرِيباً مُجَهَّزَةٌ بِجِهَازٍ مَائِعِ الصَّوَاعِقِ — أَلاَ تُوَافِقُنِي بَعْدَ هٰذَا كُلِّهِ عَلَى أَنَّ الْفَنَارَ الْحَدِيثَ يُعْتَبَرُ مِنْ عَجَائِبِ الدُّنْيَا الْحَدِيثَةِ ، كَمَا كَانَ فَنَارُ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ الأَوَّلُ مِنْ عَجَائِبِ الدُّنْيَا السَّبْعِ فِي الأَزْمَانِ الْقَدِيمَةِ .